

المثل السائر

ومن أجل ذلك يرون أشباها ما عداه وما منهم إلا من يقر بفضله ولو كان من حساده أو عداه وقد أصبحوا وهم يقلون لديه حين يكثرون ويقول كل منهم لصاحبه (أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون) .

هذا الفصل وإن تضمن شيئا من القرآن الكريم فليس المراد ههنا القرآن الكريم بل منه شيء مأخوذ من الشعر وهو قول المتنبي .

(الذَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْيَاهُ ... وَالدَّهْرُ لَفُطٌ وَأَنْتَ مَعْدِنَاهُ) .
ومن ذلك ما ذكر في وصف الخمر وهو الخمر لا تفي لذة إسكارها بتنغيم خمارها فهي خرقاء البيان بذية اللسان وتأنيتها يدل ذلك أنها من ناقصات العقول والأديان وقد عرف منها سنة الجور في أحكامها ولولا ذلك لما استأثرت من الرءوس بجناية أقدامها .
وهذا أحسن من قول الشاعر وأغرب وألطف لأنه قال .

(ذَكَرَتْ حَقَائِدَهَا الْقَدِيمَةَ إِذْ غَدَت ... وَهَنَّا تُدَّاسُ بِأَرْجُلِ الْعَصَّارِ) .

(لَا زَنْتَ لَهُمْ حَتَّى أَنْتَشَوْا فَتَحَكَّمَت ... فِيهِمْ فَنَادَتْ فِيهِمْ بِالثَّارِ) .

وكذلك قلت في وصفها أيضا وهو مدامة تنفي خواطر الهموم وتسري مسرى الأرواح في الجسوم وتشهد بأن الكرم مستمد من ماء الكروم ويتمثل حبيها نجوما إلا أنها مضلة والهداية للنجوم .

وبعض هذا مأخوذ من قول أبي نواس .

(إِذَا هِيَ حَلَّتْ فِي اللَّهَاهَةِ مِنَ الْفَتَى ... دَعَا هَمُّهُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَحِيلِ) .

وما زال الشعراء يتواردون على هذا المعنى حتى سمح لكن الذي ذكرته بعد هذا المعنى من محاسن المعاني في وصفها وكذلك ما ذكرته في وصفها وهو الخمر كالعذراء في نفورها وملازمة خدورها ولهذا تشمئز من نكاح المزاج